من جماليات
الابتداء والتخلص والختام
في البيان النبوي
دراسة بلاغية

م.م.أحمد عبد الرزاق خليل

كلية الآداب

المقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان الفصاحة والبيان، والصلاة والسلام على من أنزل عليه معجزة القرآن، فكان خير من نطق بالصواب وأفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد....

فإن من المعلوم أن الحديث النبوي الشريف هو المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، وكما أن ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه وحي من الله (عَزَّ وجُلَّ) كذلك الحديث النبوي الشريف معانيه وحي من الله تعالى وألفاظه من عند رسول الله ﷺ، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[النجم].

وقد بلغ البيان النبوي أعلى مراتب البيان البشري؛ وذلك لما امتاز به من خصائص بلاغية كثيرة ومتنوعة، استحق فيها أن يكون القمة في البلاغة والفصاحة بعد البيان القرآني، فالحديث النبوي جاء بأفصح الألفاظ، وأجمل التراكيب والعبارات، فلا تسمع فيه إلا العبارة الموجزة، والحكمة البالغة، والبلاغة العالية، وأن كثيرا من أساليبه وعباراته مبتكرة لم يسبق إليها أحد ولم يدعيها أحد، حتى أغنت لغة العرب بالتراكيب والأساليب والمعاني، وأثرت في كثير ممن سمعها من فصحائهم وأرباب البلاغة فيهم، ولذا قالت: أم معبد في وصف كلامه ﷺ بأنه: «حلو المنطق، فصل، لا نزرٌ ولا هذرٌ، كأنَّ منطقه خَرَزَات نَظْمٍ يتحدَّرْن»(١).

ومما يروى أن رسول الله ﷺ كان جالسا ذات يوم مع أصحابه إذ نشأت سحابة في السماء، فقالوا يا رسول الله هذه سحابة، فحاورهم في وصفها، وسألهم أسئلة عدة تدل على فصاحته وبلاغته، فقالوا: يا رسول الله: ما أفصحك!! ما رأينا الذي هو أفصح منك. فقال: «**ما يمنعني من ذلك، وإنما أنزل القرآن بلساني بلسان عربي مبين**»(٢). وكان حسن الصوت عذب المنطق يترسل ترسلا ﷺ. وأدل وصف وأبلغه ما قاله ﷺ عن نفسه «**أنا أفصح العرب، بَيْدَ أني من قريش**»(*).

والبحث يحاول الوقوف أمام ثلاث قضايا بالغة الأهمية في الدرس البلاغي، ليكشف عنها في الحديث النبوي وهي (الابتداء، والتخلص، والختام) وهذه الأمور الثلاثة عدها البلاغيون من (مواضع التأنق في الكلام) التي تقوم على جمال الأسلوب وترابط

النص وتنبئ عن حذق الأديب– شاعرا كان أم ناثرا– وقدرته وتمكنه من إفراغ كلامه قي قالب واحد، ولذا ينبغي على المتكلم أن يتأنق ويبدع في صياغة أسلوبه، فيختار المعاني المناسبة والألفاظ الدالة عليها، ويربطها ربطا محكما في ثلاثة مواضع ليحقق التماسك النصي، والتسلسل المنطقي في بناء العبارة في وحدة عضوية منذ بدايته، إلى لطافة الخروج و حسن التخلص من غرض إلى غرض، وحسن ختامه ليبقى أثرها عالقا في النفس، ويستقر في أعماقها.

قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني: «والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء»(٣).

ويهدف البحث إلى إبراز القيمة الجمالية في البيان النبوي من خلال هذه المواضع المشار إليها والكشف عن كل مصطلح من هذه المصطلحات البلاغية الثلاثة وبيان المصطلحات المرادفة لها عند البلاغيين. ولذا توزع البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تناولنا في المقدمة أهمية تأنق الأديب في كلامه في ثلاثة مواضع وهي (الابتداء والتخلص والختام) والكشف عن القيمة الجمالية لها من خلال الحديث النبوي الشريف.

وتناولنا في المبحث الأول (الابتداء) ونحصر الحديث عنه في مطالع الكلام وبداياته فبداية الكلام إذا كانت حسنة بديعة، رشيقة مليحة، استعطفت أسماع الحاضرين واستمالتهم إلى الإصغاء؛ لأنها أول ما يقرع الأسماع. وتناولنا في المبحث الثاني (التخلص) ونحصر في جمال عرض الأسلوب من غرض إلى غرض من غير أن يشعر المتلقي بذلك. وأما المبحث الثالث فتناولنا فيه (الختام) ونحصر في تنوع أساليب الختام ومناسبتها لما سبق من كلام في سياق بليغ من حيث النظم والتركيب. وأما الخاتمة فقد تضمنت أهم نتائج البحث.

وأخيرا هذا هو البحث فما كان فيه من خير فبتوفيق الله تعالى وإن وجد فيه غير ذلك فمن نفسي وأسال الله تعالى السداد ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

□

المبحث الأول
حسن الابتداء

مفهوم الابتداء في اللغة والاصطلاح.

تدل مادة (بدأ) في معاجم اللغة على فعل الشيء ابتداءً، أي أول كل شيء، ومنه قولهم أفعله بادي بدء أي أول شيء، وفي أسماء الله عز وجل المبدئ: أي الذي أنشأ الاشياء واخترعها ابتداءً من غير سابق مثال، وجاء في الحديث: الخيل مُبَدأةٌ يوم الورد، أي يبدأ بها في السقي قبل الإبل والغنم(٤).

أما الابتداء في اصطلاح البلاغيين: فهو التأنق في بداية الكلام ومطالعه ؛لأنه أول ما يقرع الأسماع فإن كان حسنا بديعا، ومليحا رشيقا، أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه ولو كان ما بعده في غاية الحسن، قال العسكري: «الابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكونا جميعا مؤنقين»(٥).

وحسن الابتداء هو أحد الفنون البديعية المهمة في بلاغة الكلام، ذكره البلاغيون والنقاد تحت مسمى (مواضع التأنق في الكلام)(٦)، وأطلقوا عليه مجموعة من التسميات منها: «مبادئ الكلام، وبراعة الاستهلال، والمبدأ، والمبادي والمطالع، وحسن الابتداءات، والإبداع في الاستهلال، وحسن المطلع، وبراعة المطلع»(٧).

والابتداء أول ما يقرع الأسماع، فإذا كان عذب الألفاظ، صحيح المعنى، جيد السبك، خال من الثقل والتنافر، بعيدا عن التكلف والتعقيد، أقبل السامع على الكلام بانشراح، وتلقاه بالقبول والإصغاء، لان حسن الافتتاح داعية إلى الانشراح، وسبيل للنجاح، وإن كان على خلاف ذلك أعرض عنه ونفر منه(٨). وإذا كان الابتداء مناسبا للمعنى المقصود من تهنئة أو مدح، أو هجاء أو وصف سمي براعة الاستهلال(٩).

وأول من أشار إليه في تراثنا العربي الجاحظ فقال: «وحدثني صالح بن خاقان قال: قال شبيب بن شيبة: الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه، وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع وبمدح صاحبه»(١٠) وذكره ابن المعتز وعده من محاسن الكلام، ومثل له بقول النابغة(١١):

كِلِينِي لِهَمَّ يا أميمةَ ناصبِ وليلٍ أقاسيهِ بَطيءِ الكواكبِ

ولعل من أدق الإشارات التي ذكرت حسن الابتداء ما ذكره ابن رشيق تحت باب (المبدأ والخروج والنهاية) فقال: «الشعر قفل، أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة، وليتجنب (ألا) و(خليلي) و(قد) فلا يستكثر منها في ابتدائه، فإنها من علامات الضعف، وليجعله حلوا سهلا، فخما جزلا»(١٢).

وبنحو هذا وبتفصيل أكبر قال الحلي في شرح الكافية البديعية «أما براعة المطلع فهي عبارة عن سهولة اللفظ، وصحة السبك، ووضوح المعنى، ورقة التشبيب، وتجنب الحشو، وتناسب القِسْمَين، وأن لا يكون البيت متعلقا بما بعده» وقال: وشرط حسنه «في النثر أن يكون افتتاح الخطبة أو الرسالة أو غيرها دالا على غرض المتكلم»(١٣). وتناوله بعد ذلك بالدراسة كل من جاء بعدهم وقال به علماء البلاغة المعاصرون(١٤).

وعلى هذا الأساس ينبغي للأديب أن يتأنق في مطالع كلامه، ويجعله متناسبا مع ما بعده ومتلائما معه، ودالا على المعنى المقصود، فإن كان فتحا ففتحا، وإن كان هناء فهناء، وإن كان عزاء فعزاء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني(١٥). ونقل العسكري عن بعض الكتاب أنهم قالوا: «أحسنوا معاشر الكتّاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان»(١٦).

وأشار البلاغيون والنقاد إلى الإبداع في فواتح السور القرآنية وأجمعوا أنها بلغت أعلى مقامات البلاغة، فجميع الفواتح جاءت حسنة المطلع، متناسبة متلائمة مع ما بعدها، تأسر المتلقي وتجذب انتباهه، وتوقظه للإصغاء إلى ما يأتي بعد ذلك من أحكام وآداب وقصص.

فابتداء سورة الإسراء بتنزيه الله عز وجل ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾[الإسراء: ١] ابتداء حسن وبراعة في الاستهلال، لأن الحديث فيما بعد سيكون عن حادثة الإسراء التي كذب فيها العرب الرسول ﷺ لأول وهلة. وابتداء سورة النور ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١] ابتداء حسن و يدل على أهمية ما تتضمنه من أحكام وآداب في إصلاح الأسرة والمجتمع.

ومن أحسن الابتداءات عند العرب قول النابغة الذبياني(١٧):

كِلِينِي لِهَمَّ يا أميمةَ ناصبِ وليلٍ أقاسيهِ بَطيءِ الكواكبِ

وقول امرؤ القيس[١٨]:

قِفَا نَبك من ذِكــرى حبيــبٍ ومنــزلِ بســقط اللــوى بــين الــدخول فحومــل

وقد فضل النقاد: قول النابغة على قول امرئ القيس لأن شطريه متناسبان، وألفاظه متلائمة، لا غرابة فيها، وأما قول امرئ القيس فقد وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصرع واحد، بأحسن نظم وأعذب لفظ، لكن الشطر الثاني لم يوفق فيه لأنه أتى بمعان قليلة وألفاظ غريبة فباين الأول[١٩].

ومن جيد الابتداءات قول أوس بن حجر في الرثاء[٢٠]:

أيتهــا الــنفس أجملــي جزعــا إن الــذي تحــذرين قــد وقعــا

قال النقاد: لم يبتدأ أحد من الشعراء بأحسن مما ابتد به أوس بن حجر، لأنه افتتح المرثية بلفظ أشعر بمقصوده ومراده من أول بيت[٢١].

وإذا لم يتأنق الأديب في ابتداء كلامه بانتقاء الألفاظ العذبة واختيار النظم المناسب للمقام، كان ابتداؤه ابتداء قبيحا مرفوضا، وقد أعاب النقاد على بعض الشعراء ابتداءاتهم القبيحة، ومنها قول ذي الرمة في عبد الملك بن مروان[٢٢]:

ما بال عينك منهــا المــاء ينســكب كأنــه مــن كُلــى مغريــة ســرب

قال الخليفة: بل عينك أنت وأمر بإخراجه، وكانت عين عبد الملك بها رمش- أي حمرة في الجفن وتدمع دائما- فظن أنه يعرّض به[٢٣].

ومنها ابتداء المتنبي في مدح كافور[٢٤]:

كفى بك داء أن ترى الموت شــافيا وحســب المنايــا أن يكــن أمانيــا

فابتداءه لا يتلاءم مع المدح، ولا يتناسب في مخاطبة الملوك، وإنما يصلح أن يكون في الرثاء أو الهجاء[٢٥].

والأحاديث النبوية الشريفة معينا لا ينضب من الجمال والجلال والكمال، وحسن العرض وقوة التأثير والإقناع، ويتجلى ذلك في الألوان البديعية ولا سيما حسن الابتداء أو براعة الاستهلال، والمتأمل يلحظ الاتساق العام الذي ينتظم موضوعات الحديث الواحد، ومعظم مقدمات أحاديثه ﷺ جاءت في غاية التلاؤم والتناسب والتناسق مع ما يتضمنه نص الحديث الواحد، من براعة وتنبيه وتشويق، قال العلوي في الابتداءات الحسنة في الحديث

النبوي: «ومن أنِس بالأحاديث النبوية، وكان له مطالعة لها، فإنه يجد فيها ما يكفي ويشفي»(٢٦).

وجميع ابتداءاته ﷺ حسنة أنيقة، وعذبة سائغة وحلوة رشيقة، بها أيقظ السامعين، ونبه الغافلين، وشوق المؤمنين وفتح مغاليق القلوب والعقول معا، ومن وراء هذا اللون البلاغي الآسر حقق النبي ﷺ أهدافه في الدعوة والتبليغ وهداية البشر، وشملت الابتداءات الحسنة الموضوعات كلها في الترغيب والترهيب والوعد والوعيد وبيان الأحكام الشرعية والآداب الإسلامية.

ومعظم الأحاديث النبوية يمكن الاستشهاد بها على هذا اللون البديعي وذلك لما فيها من تشويق وإثارة وتنبيه وتهيئة المتلقي لمتابعة الكلام، ويحسن بنا في هذا المقام أن نذكر تنوع أساليب الابتداءات في أحاديثه ﷺ تبعا لتنوع المقامات حيث شملت معظم المقامات كالوعد والوعيد والآداب والأحكام.

ومن أساليب هذه الابتداءات الرائعة في كلامه ﷺ:

- الابتداء بأساليب التشويق، كالدعاء، والعدد، والتشبيه.
- الابتداء بأساليب القصر والتوكيد.
- الابتداء بأساليب الخبر والإنشاء كالأمر والنهي، والقسم والنداء، والاستفهام، والمدح والذم. وغير ذلك.

وقد شكل هذا اللون البديعي في بنية الحديث النبوي الشريف حضورا جماليا متميزا، ليكون الأكثر تأثيرا والأشد وقعا في النفس، فالأحاديث النبوية تميزت بقوة النسج والتركيب ومتانة الأسلوب والتعبير. ومن الشواهد على هذا الفن البديعي في الصحيح، ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(٢٧).

وأول ما يلحظ في هذا الحديث الجليل حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، والبداية المثيرة للانتباه، المناسبة للحال المتكلم فيها، والإشارة إلى من ورد الحديث بسببه، وقد صُدّر الحديث بمقطع قصير جامع هو (إنما الأعمال بالنيات) وعليه ارتكز بقية النص، وهذا المقطع على وجازته عظيم القدر، كثير الفائدة، وهنا نقف نتأمل كيف استخدم

الحديث أسلوب القصر استخداما فنيا رائعا يوحي بألوان من النية الخالصة، ويضع الباحثين في البلاغة أمام جديد من الصياغة عن طريق هذا الأسلوب.

وجاءت (إنما) في الحديث بمثابة جواب عن سؤال، أو تبيان حالة اقتضاها العامل، وأفادت البداية العموم والشمول، وأكد ذلك (إنما) التي أفادت الحصر، كما أفاد الحديث التعريض بمن تنازل عن ثواب عمله وهو أحوج ما يكون إليه في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم(٢٨).

واعتمد الحديث على حسن الابتداء أو براعة الاستهلال ؛ لأنها المدخل المناسب والأسلوب الأمثل، إذ هي من أهم أساليب الإقناع والاتصال، لأنها تجذب الانتباه وتثيره لدى المتلقي وتحفزه على الترقب لما بعدها.

ومنه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق: أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**»(٢٩).

في هذا الحديث الشريف يبين لنا رسول الله ﷺ صفات المكرمين يوم القيامة، وهم سبعة أصناف من الناس حازوا على الشرف العظيم والفوز الكبير، فخصهم الله عز وجل من بين الخلق بفيض كرمه وإحسانه، فأظلهم بظله الظليل يوم لا ينفع في ذلك الموقف الشديد والعذاب الرهيب إلا هو، ونلحظ في الحديث البداية المعبرة، والمدخل المناسب الذي يأخذ بمجامع القلوب والأسماع، فقد بدأ بأسلوب التشويق والترغيب، والذي زاد من التشويق ذكر النتيجة (الجزاء) قبل ذكر الأعمال.

وهكذا استهل النبي ﷺ كلامه الجامع بلفظ العدد (سبعة) وذكر العدد يذهب بنفس المخاطب كل مذهب، فيحقق عنده اليقظة والترقب والاستشراف لما بعده، وهنا جاء العدد يشوق النفس ويحفزها للتعرف والتطلع على هذه الأصناف السبعة من الناس، وتنكير العدد (سبعة) يحمل في طياته التعظيم والتفخيم.

ذكر الكرماني وجه الحصر بهؤلاء السبعة: بأن الطاعة: إما أن تكون بين العبد وربه، أو بين العبد والخلق، فالأول: باللسان وهو الذكر، أو القلب وهو المعلق بالمساجد، أو بالعبد وهو بالبدن وهو الناشئ في عبادة الله.

والثاني: إما عام وهو الإمام العادل، أو خاص بالقلب وهو التحاب، أو بالمال وهو الصدقة، أو بالبدن وهو العفة[٣٠].

وإعادة لفظة (الظل) أربع مرات في مقدمة الحديث للتأكيد عليه، وبيان عظيم قدره يوم القيامة، والمراد بالظل معناه المجازي، فهو كناية عن التكريم والتعظيم، وإضافة الظل إلى ضميره عز وجل (في ظله) إضافة تعود على المضاف بالتشويق والتكريم وبيان عظيم هذه الكرامة[٣١].

قال القاضي عياض: والمراد بالظل هنا ظل العرش كما جاء في بعض الروايات (في ظل عرشي) وقد يراد به الجنة أو ظل طوبى وهو نعيمها كما قال تعالى: ﴿**وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلٗا**﴾ [النساء: ٥٧]، وذهب ابن دينار إلى أن معنى الظل الكرامة والكنف والكف عن المكاره في ذلك الموقف، ولم يرد الظل من الشمس، يقال: فلان في ظل فلان، أي في كنفه وحمايته، وهو أولى الأقوال، ويكون إضافته إلى العرش لأنه التقريب والكرامة، وإلا فالشمس وسائر العالم تحت العرش وفي ظله[٣٢].

ومنه عن علقمة، قال كنت مع عبد الله بمنى، فلقيه عثمان ﷺ فقام معه يحدثه فقال له عثمان: يا أبا عبد الرحمن: ألا نزوجك جارية شابة، لعلها تذكرك بعض ما مضى من زمانك، قال: فقال عبد الله: لئن قلت ذاك، لقد قال لنا رسول الله ﷺ «**يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»[٣٣].

هذا الحديث من الابتداءات الحسنة في كلامه ﷺ، إذ ابتداؤه بالنداء، والنداء هو طلب الإقبال بحرف ناب مناب أدعوا، وهو (يا) أو إحدى أخواتها[٣٤]، والنداء- غالبا- يصحب الأمر والنهي وكأنه إعداد النفس لهما[٣٥].

ونلحظ أول ما نلحظ في الحديث أن النبي ﷺ استهل كلامه بأسلوب مشوق للشباب (يا معشر الشباب) لأنهم رمز القوة والحيوية والجمال، والخطاب عام للمسلمين

يحثهم على النكاح ويرغبهم به، وقد ناداهم بأرق نداء وأعذبه، واختيار أداة النداء (يا) فيها إشارة إلى تشريف المنادى وعلو رفعته ومنزلته.

واستعمال أداة النداء (يا) لها خصوصية ودلالة مميزة بين أدوات النداء، وقد اتفق علماء اللغة على أنها أم الباب واشهر أدوات النداء وهي للتنبيه[٣٦].

والنداء بها يسمح بمد الصوت الذي يحمل نبرة المحبة والتودد والشفقة، التي تهتز لها القلوب وتطرب لها الأسماع مع ما يوحي به من علو منزلة الشباب في الأمة وارتفاع شأنها.

والنداء في الحديث قريب إلى النفوس والقلوب، ويدفع المنادَى إلى الإصغاء والمتابعة، وذلك باستعمال أداة النداء (يا) التي وضعت في الأصل لنداء البعيد، واستعملت أيضا لنداء القريب، قال السخاوي: هي للبعيد ولمن غاب لأن الصوت يمتد معها، وقد ينادون بها القريب، لأنهم يتصورونه كالبعيد في كونه لا يقبل عليهم[٣٧]، وقال ابن هشام وهي «لنداء البعيد حقيقة أو حكما وقد ينادى بها القريب توكيدا، وقيل هي مشتركة بين القريب والبعيد،... وهي أكثر أحرف النداء استعمالا، ولهذا لا يقدر عند الحذف ولا ينادى اسم الله عز وجل والاسم المستغاث وأيها وأيتها إلا بها»[٣٨].

ومن الواضح أن الابتداء هنا دالا على قرب المنادي للمنادى والتحبب إليه، فأسلوب النداء– غالبا– يقصد به التنبيه، واستمالة المخاطب ليصغي بعناية وتشوق إلى ما بعد النداء ويستشرف لمعرفة سببه. [٣٩]

ومنه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا الله ورسوله أعلم. قال «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه، فقد بهته**»[٤٠].

يحدد الرسول ﷺ في هذا الحديث العظيم المفهوم الحقيقي للغيبة وأثرها السيئ على المجتمع والأمة: وقد استهل كلامه ﷺ بالبداية المعبرة والمثيرة عن طريق السؤال والجواب، وكان سبيله في هذا الأمر الخطير أسلوب الاستفهام، فسألهم قائلا «**أتدرون ما الغيبة**» فأجابوا إجابة من يريد أن يعرف هذا الحكم الخطير قبل أن يجيب فيخطأ فقالوا: «الله ورسوله أعلم».

واختيار الهمزة من بين أدوات الاستفهام لأنها أم الباب وقد عدّها علماء العربية الأصل في الاستفهام، وذكر د. عودة أبو عودة أنماط الاستفهام في الحديث النبوي وفصل القول في أدواته- كالهمزة وأنى وأين وأي وكم وكيف وما وماذا ومتى ومن وهل- واستهل أنماطه بأداة الهمزة لأنها أصل الاستفهام[٤١].

والاستفهام في جملة (أتدرون) جاء بالهمزة ويراد بها التصديق، وقد خرج الاستفهام من معناه الأصلي وهو (طلب العلم بمجهول) إلى معنى بلاغي آخر وهو (التشويق إلى معرفة الشيء) فكانت البداية بأسلوب الاستفهام تنبيها وتشريفا بغرض إثارة المخاطب وتحديد مفهوم اللفظ في ذهنه واستحضاره وتمهيدا لتصحيح مفهوم إن كان به خطأ أو تعريفه إن كان لا يعرفه ابتداءً.

ويزيد الأسلوب تشويقا اختيار التعبير (أتدرون) لأن مضمون السؤال يدور حول قضية تتصل بالعلم واليقين، وكان الجهل بها من باب الغفلة والشدة، وهذا الأمر كان متعلقا بالدراية وعدمها، فناسب ذلك أن يكون مضمون السؤال بقوله (أتدرون)[٤٢].

المبحث الثاني
حسن التخلص

مفهوم التخلص في اللغة والاصطلاح.

تدل مادة (خلص) في الأصل اللغوي على التنجية من كل منْشَب، تقول: خَلَّصتُهُ من كذا تخليصا أي: نجيته تنجيتة فتخلص، وتخلَّصَهُ تخلصا كما يتخلص الغزل إذا التبس[٤٣]، وخلصتُهُ: أي ميَّزْتُه من غيره[٤٤].

وأما في الاصطلاح فيقصد بالتخليص: أن ينتقل الأديب من معنى إلى آخر، أو من موضوع إلى موضوع آخر، بألطف عبارة، وأحسن أسلوب، غير مستنكر في النفوس، وأحسنه أن يخرج من معنى إلى معنى برابطة مناسبة، لا يشعر المتلقي معه بالانتقال لما بينهما من تلاؤم وانسجام، من غير أن يقطع كلامه أو يستأنف كلاما آخر، وهذا عده البلاغيون والنقاد دليلا على حذق الأديب وقوة تصرفه وطول باعه واتساع قدرته[٤٥].

وحسن التخلص والتلطف في الخروج أحد أعمدة (مواضع التأنق في الكلام) وهو أجل المحاسن، ودليل على رسوخ القدم في البلاغة، وقد اعتنى بهذه الخصيصة

البلاغية المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم[٤٦]، إذ لم تكن موضع اهتمام الشعراء المتقدمين على الرغم من تعدد أغراض القصيدة الواحدة، فقد كان الشاعر العربي القديم ينتقل من موضوع إلى آخر انتقالا مفاجئا بمثل قوله: «دع ذا، أو عد عما ترى، أوعد عنه» ونحو ذلك.

وأول من ذكره ابن المعتز وعده من محاسن الكلام وسماه «حسن الخروج من معنى إلى معنى»، وقد أطلق عليه علماء البلاغة والأدب مجموعة تسميات منها: «حسن التخلص، وحسن الخروج، والتخلص، وبراعة التخلص، والتخليص، والخروج، والمخلص»[٤٧].

وذكره ابن رشيق باسم (الخروج) مرة وباسم (التخلص) مرة أخرى، فقال: وأما الخروج فهو شبيه بالاستطراد وليس به؛ لان الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف... ثم قال ومن الناس من يسمي الخروج تخلصا[٤٨].

وأما ابن منقذ فذكره في (باب التخلص والخروج) وقال «اعلم أن التخلص والخروج يستحب أن يكون في بيت واحد وهو شيء ابتدعه المحدثون دون المتقدمين»[٤٩].

ومن أشمل التعاريف وأفضلها ما ذكره ابن حجة الحموي في كتابه (خزانة الأدب) فقال: وهو أن ينتقل الأديب المتمكن من معنى إلى معنى أخر بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد... وهذا النوع البديع ما اعتنى به حذاق المتأخرين وما نسجوه جميعه إلا على المنوال المذكور، ولعمري إنها طريقة بديعة ونوع من السحر يدل على رسوخ القدم في البلاغة وتمكن الذهن من البراعة، وإن لم يكن كذلك لم يعد من أنواع البديع والقرائح تختلف فيه وتتفاوت[٥٠].

والتأنق في التخلص يدل على حذق الأديب وقوة تصرفه في الكلام ؛لان الانتقال المناسب من غرض إلى آخر، يجعل الكلام متماسكا مقبولا،مقترنا ببعضه برابطة مناسبة تشعر المتلقي بروعة الكلام، وتزيده ارتياحا لحسن التآلف والانسجام، لان السامعين يترصدون حسن التخلص والانتقال، فإن كان حسنا مناسب الطرفين حرك نشاطهم إلى الإصغاء، وإلا أحجمت أسماعهم عنه[٥١].

ويقرر السجلماسي وظيفة هذا الفن البديعي قائلا: «ومن شروط هذا النوع لطف التخلص ورشاقته وشرف التغلغل وفخامته، واستقصاء المعنى وغرابته، وقرب المقصد ومناسبته حتى تجد النفس له... انبساطا روحانيا وطربا نفسيا»(٥٢).

ومن أحسن التخلصات المختارة قول المتنبي(٥٣):

خليلي إني لا أرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد

فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد

حيث انتقل انتقالا حسنا مناسبا من تفرده بالشعر إلى انفراد الممدوح بالقوة وبكونه سيف الدولة.

وحسن التخلص من المواضع التي ينبغي على المتكلم أن يتأنق فيها، ويراع التناسب والتلاؤم في انتقاله، فإن لم يراع ذلك سمي اقتضابا، وهو مذهب الشعراء والخطباء الجاهليين ومن يليهم من المخضرمين، فقد كان الشاعر العربي القديم ينتقل من غرض إلى آخر انتقالا مفاجئا كقوله: (عد عما ترى، أو عد عنه، أو دع عنك ذا) ونحو ذلك.

ويقصد بالاقتضاب: أن ينتقل الشاعر من معنى إلى معنى آخر من دون تعلق بينهما(٥٤)، بأن يقطع كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاما آخر ولا يكون للثاني علاقة بالأول(٥٥).

كقول زهير(٥٦):

فعد عما ترى إذ فات مطلبه أمسى بذاك غراب البين قد نعقا

فقد انتقل من الغزل إلى غرضه المقصود بقوله (عد عما ترى).

ونظيره قول امرؤ القيس(٥٧):

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا

ومن الاقتضاب المحمود ما يكون قريبا من التخلص، وهو فصل الخطاب، ويكون بعبارة (أما بعد) بعد مقدمة الحمد والثناء على الله عز وجل، لأن المتحدث يفتتح كلامه في كل أمر ذي بال بذكر الله والثناء عليه، فإذا أراد أن ينتقل إلى الغرض المقصود، فصل بينه وبين مقدمة الحمد والثناء بـ(أما بعد).

ومن الاقتضاب أيضا الفصل بين قسم وقسم آخر باسم الإشارة (هذا أو هذا ذكر) أو نحوهما مما يشعر بالانتهاء من الكلام على القسم السابق للبدء بالكلام على قسم آخر، كقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: ٤٩] وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ [ص: ٥٥] فالآيات انتقلت من غرض إلى غرض باسم الإشارة (هذا) وهو من فصل الخطاب الذي هو ألطف موقعا من التخلص(٥٨).

وقد اختلف في وقوع التخلص في القرآن الكريم، فقيل: لا يقع فيه لأنه يأتي في الغالب متكلفا والقرآن منزه من التكلف، وقيل: أنه قد وقع فيه، وهذا هو الصواب لأن القرآن الكريم لم يترك واديا من أودية البلاغة إلا أخذ منه بنصيب عبر عنه تعبيرا معجزا(٥٩). كما في قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤ ﴾ [يوسف] فالسورة موضوعة لقصة سيدنا يوسف عليه السلام، وقد افتتحها بذكر القرآن، ثم انتقل بحسن التخلص إلى المقصود– قصة يوسف–.

ومن الجدير بالذكر أن أنوه إلى أن بعض العلماء عدّوا الاستطراد والتخلص والاقتضاب شيئا واحدا، قال د.بدوي طبانة: إن معنى (حسن التخلص) عند ابن المعتز هو (الاستطراد) عند سائر البلاغيين والنقاد(٦٠)، وهذا تعميم غير دقيق، وعلى هذا الأساس لا بد أن نبين الفرق بينهم، فالاستطراد شرطه رجوع المتحدث إلى كلامه الأول، وقطع الكلام بعد الاستطراد. وأما الاقتضاب فهو الانتقال من موضوع إلى آخر دون تعلق بينهما. وأما التخلص فإنه الانتقال من غرض إلى آخر بأحسن أسلوب، لما بينهما من تلاؤم وانسجام، فلا يرجع إلى الكلام الأول، ولا يقطع الكلام، بل يستمر إلى ما يخلص إليه.

ومن الشواهد على وقوع التخلص في كلامه ﷺ ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف، وما تناكر منها اختلف**»(٦١).

إن الغرض من هذا الحديث الشريف بيان معيار التآلف والتخالف بين الأرواح، ومدى التقارب في الصفات والتفاوت فيها، ولذا أورده الإمام مسلم في باب (الأرواح جنود مجندة) وقد مهد الرسول الكريم لذلك بالإشارة إلى أصناف الناس، واختلاف طباعهم، وتفاوت أخلاقهم، فمنهم الطيب الكريم، ومنهم الخسيس اللئيم، مثلهم في ذلك كمثل المعادن والجواهر المختلفة نفاسة وخسة، فالنفيس كالذهب والفضة، والرخيص كالتنك والرصاص ونحوهما، واكتفاء الحديث بالإشارة إلى المعدن النفيس دون الخسيس إيماء إلى أن المقصود من الناس أصحاب الهمم العالية والنفوس الخيرة.

والأرواح وإن اتفقت في كونها أرواحا، إلا أنها جموع مجتمعة، أو أجناس مختلفة، فما كان متلائما ومتوافقا في الصفات والطباع، فإن أصحابها يتقاربون ويأتلفون في الدنيا، والمختلفون في الصفات والأحوال يتنافرون، إذ يميل المثل إلى مثله والشبه إلى شبهه.

وبعد أن أوضح الحديث النبوي أن خيار الجاهليين هم خيار في المسلمين إذا فقهوا، تخلص بذلك إلى موضوع آخر يتعلق بالأرواح التي يكون منها المؤتلف ومنها المختلف، وانظر كيف انتقل النبي ﷺ من المعنى الأول إلى المعنى الثاني انتقالا سهلا شيقا بحيث لم يشعر المتلقي بالانتقال إلا بالتأمل و التفكر، وذلك لشدة الانسجام والتآلف بينهما.

والأرواح جمع روح وهي أجسام لطيفة نورانية غير مادية، لا يعلم كنهها إلا الله عز وجل، فالأرواح الخيرة التي عمرت بالإيمان والعمل الصالح تميل إلى الأرواح الخيرة، فتتآلف ويحصل بينها التعارف والمحبة، أما الأرواح الشريرة فإنها تحب الأشرار وتميل إليهم لأنها على شاكلتهم وطبيعتهم، لأن الشخص إذا وافقتك صفاته ائتلفت معه دينا وفكرا وخلقا وسلوكا وصفة وطبعا، وإذا خالفتك صفاته أنكرته ونفرت منه.

وجاءت كلمات (تعارف وتناكر) على وزن (تفاعل) وهذه الصيغة تفيد المشاركة من الطرفين، ومعنى ذلك أن التعارف يكون بين جنسين متشابهين، وكذلك التناكر يكون بين جنسين مختلفين(٦٢).

ومنه عن عائشة قالت خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ يصلي... فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إن الشمس والقمر من آيات الله وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فكبروا وادعوا الله وصلوا**

وتصدقوا، يا أمة محمد إن من أحد أغيرُ من الله أن يزني عبده أو أمته يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا، ألا هل بلغت؟»[٦٣].

في هذا الحديث الشريف يصحح الرسول الكريم ﷺ قضيتين مهمتين تخص تكوين الشخصية المسلمة، الأولى تصحح الاعتقاد والثانية تصحح الفعل. فالحديث جاء لإبطال الخرافة والظن الذي شاع أن الشمس والقمر ينخسفان لموت عظيم من البشر، في حين أنهما من آيات الله عز وجل، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، وعلى الإنسان المسلم إذا رأى ذلك أن يكثر من أنواع العبادات والأعمال الصالحة (فادعوا الله وكبروا، وصلوا وتصدقوا). وقد جاءت إضافتهما إلى الله تعالى إشارة إلى أنهما مسخرتان له، ودليلان على قدرته وعظمته.

قال الإمام النووي: «قال العلماء: والحكمة أن بعض الجاهلية الضلال كانوا يعظمون الشمس والقمر، فبين أنهما آيتان مخلوقتان لله تعالى، لا صنع لهما، بل هما كسائر المخلوقات يطرأ عليهما النقص والتغير كغيرهما. وكان بعض الضلال من المنجمين وغيرهم يقول لا ينكسفان إلا لموت عظيم، أو نحو ذلك، فبين أن هذا باطل لا يغتر بأقوالهم لا سيما وقد صادف موت إبراهيم ﷺ»[٦٤].

وأنظر كيف أحسن النبي ﷺ التخلص وانتقل انتقالا مناسبا من حديثه عن خسوف الشمس والقمر إلى الحديث عن خطر الزنا والتحذير منه، وآثره السيئ في تخريب القيم والأخلاق الإنسانية وإفساد المجتمع وتدميره، لذلك يقول (يا أمة محمد والله إن من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو أمته) أي ما من أحد أغير من الله عز وجل، أو ما من أحد أشد كرها وبغضا للمعاصي من الله عز وجل.

وهنا جاء الخطاب النبوي بالنداء الدال على الشفقة لاجتذاب الانتباه واليقظة، وتعميق الانتماء للأمة المحمدية، ثم يأتي القسم بالله تعالى الذي يهز النفوس هزا عنيفا، لزيادة التأكيد والخوف من غيرته وانتقامه سبحانه، لانتهاك حرماته والتردي بالفاحشة، واختيار لفظ الغيرة في قوله (أغير) يدل على شدة غضب الله عز وجل على من يرتكب هذه الفاحشة، والتعبير بأفعل التفضيل (أغير) يصعد هذا المعنى وينذر بالخطر والغضب والانتقام المحدق بهذه المعصية، وخص العبد والأمة بالذكر، إشارة لما يجب عليهما من طاعة سيدهما والقيام بحق عبوديته وعدم التردي بالفواحش[٦٥].

ومنه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، وإن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع**»(٦٦).

ففي هذا الحديث الشريف الذي استهله النبي ﷺ بذم المنهمك في الدنيا ولذاتها وشهواتها ووصفه بالتعاسة وسوء العاقبة، انتقل منه إلى غرض آخر وثيق الصلة بما قبله، إذ جاء ذلك في غاية السهولة واللطافة، بحيث لم يشعر المتلقي به إلا بعد التأمل والتفكر، وهو الغرض الأساس في الحديث؛ لان فيه فضل الحراسة والمرابطة في سبيل الله تعالى، وقد مهد النبي ﷺ لذلك بالإشارة إلى دناءة الدنيا وحقارتها وذم الحريص عليها.

قال الطيبي وقيل إنما «خُصّ العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها، كالأسير الذي لا خلاص له عن أسره، ولم يقل: مالك الدنيا، أو جامع الدينار؛ لأن المذموم من الدنيا الزيادة على قدر الحاجة»(٦٧).

وتأمل كيف أحسن النبي ﷺ التخلص، وانتقل انتقالا مناسبا من حديثه عن ذم الدنيا والانغماس في شهواتها وملذاتها، إلى ذكر فضل الجهاد والحراسة والمرابطة في سبيل الله تعالى، ثم انتقل ﷺ إلى بيان مكانة المجاهد وكيف أنه طلق الدنيا وملذاتها، وزهد وجاد بنفسه في سبيل الله تعالى، ولذا قال: «**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله**» فدعا له الرسول ﷺ بالجنة، لأن (طوبى) أشهر شجرها وأطيبه، فدعا له أن ينالها، ودخول الجنة ملزوم نيلها(٦٨).

وقد أثبتت الأحاديث النبوية الشريفة حذق النبي ﷺ وقوة ملكته واتساع قدرته في الفصاحة والبلاغة، وذلك في حسن التخلص من بديع المعاني ورشيق الألفاظ وحسن النسق.

المبحث الثالث
حسن الختام

مفهوم الختام في اللغة والاصطلاح.

تدل مادة (ختم) في الأصل اللغوي على انتهاء الشيء وآخره، قال ابن منظور «ختام كل شيء: آخره، وفي التنزيل العزيز: (ختامه مسك): أي آخره، لان آخر ما يجدونه رائحة المسك... وختام الوادي: أقصاه، وختام القوم وخاتمهم: آخرهم»(٦٩).

أما المعنى الاصطلاحي للختام فلا يختلف عن الدلالة اللغوية له، إذ المقصود من هذا الفن عناية البليغ- شاعرا كان أو ناثرا- بخاتمة كلامه، فيجتهد ليحسن فيه غاية الإحسان، لكونه آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حُفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فلا يحسن السكوت على غيره(٧٠).

وحسن الختام هو أحد المواضع الثلاثة التي نص عليها علماء البلاغة على التأنق فيها، لأنه خلاصة الكلام وآخر اللمسات المؤثرات التي تطرق الأسماع، وترتسم في النفوس؛ وذلك لأن المتلقي يتأثر بآخر ما يسمعه، فإن كان حسنا مختارا تلقاه بالقبول واطمئن إليه، وربما جبر ما سبقه من تقصير.

والختام أسلوب صياغي يعتمده المتكلم، من أجل بلوغ أقصى درجات الإثارة والتحفيز لذهن المتلقي، ولذا لابد أن يتمتع- الختام- بقدر عال من الدقة الصياغية؛ والحركة الرشيقة للمدلولات، وهي تمر فوق منحنيات الدوال، لتحقيق أكبر قدر من التوافق والانسجام(٧١).

ولمصطلح (حسن الختام) عند البلاغيين تسميات عدة أشهرها: الانتهاء، المقطع، الاختتام، حسن المقطع، الأواخر والمقاطع، حسن الختام، براعة المقطع(٧٢). و«كلها فن واحد الهدف منه أن يحرك النفس عند ختام القصيدة أو الكلمة، ليبقى أثرها عالقا بالنفوس»(٧٣).

وأول الإشارات لهذا المصطلح في تراثنا العربي ما نقله الجاحظ قائلا: «حدثني صالح بن خاقان، قال: قال شبيب بن شبيبه: الناس موكلون بتفصيل جودة الابتداء، وبمدح صاحبه، وأنا موكل بتفصيل جودة القطع، وبمدح صاحبه»(٧٤).

وسماه أبو هلال العسكري (المقطع) فقال: والمقطع: آخر ما يبقى في النفس من قولك... ثم ذكر لجودة المقطع قول ابن الزبعري في ختام قصيدة له، كان قد قدمها بين يدي النبي ﷺ، ليعتذر منه ويستعطفه، فقال:

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت وأقبل تضرع مستضيف تائب

وقد عقب على هذا قائلا: فجعل نفسه مستضيفا، ومن حق المستضيف أن يضاف، وإذا أضيف فمن حقه أن يصان، وذكر تضرعه وتوبته مما سلف، وجعل العفو عنه مع هذه الأحوال فضيلة، فجمع في هذا البيت جميع ما يحتاج إليه في طلب العفو(٧٥).

وأطلق عليه ابن رشيق (الانتهاء، والخاتمة) وقال: «وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الإسماع، وسبيله أن يكون محكما، لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحا له، وجب أن يكون الآخر قفلا عليه»(٧٦) وفي موضع آخر قال: «وخاتمة الكلام أبقى في السمع وألصق بالنفس لقرب العهد بها فإن حسنت حسن وإن قبحت قبح والأعمال بخواتيمها»(٧٧).

وخصه ابن أبي الإصبع بباب مستقل سماه (حسن الخاتمة) وقال: «يجب على المتكلم شاعرا كان أو ناثرا أن يختم كلامه بأحسن خاتمة، فإنها آخر ما يبقى في الأسماع، ولأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فيجب أن يجتهد في رشقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها»(٧٨).

وسماه العلوي (الاختتام) وقال فيه: ينبغي لكل بليغ أن يختم كلامه في أي مقصد كان بأحسن الخواتيم، فإنها أخر ما يبقى في الأسماع لقرب العهد بها، ويجتهد في رشاقتها وحلاوتها وفي قوتها وجزالتها، وينبغي تضمينها معنى تاما يؤذن السامع بأنه الغاية والنهاية... فالخاتمة في كل شيء هي العمدة في محاسنه، والغاية في كماله، ومن الشواهد التي ذكرها لأحسن الانتهاءات، قول الرسول ﷺ: «**ملاك العمل خواتمه**» وقوله أيضا «**إنما الأعمال بخواتيمها**» وأورد من الأمثلة لذلك قول المتنبي:

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا

وقال معلقا عليه: فهذه الخاتمة إذا قرعت سمع السامع عرف بها أن لا مطمع وراءها، ولا غاية بعدها، وهي الغاية المقصودة والبغية المطلوبة، وبها يعلم انتهاء الكلام وقطعه، وهذا علامة حسنها ورونقها(٧٩).

ونبه القرطاجني إلى مناسبة الغرض في الختام فقال: «فأما الاختتام فينبغي أن يكون بمعان سارة فيما قصد به التهاني والمديح، وبمعان مؤسية فيما قصد به التعازي والرثاء، وكذلك يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه، وينبغي أن يكون اللفظ فيه مستعذبا، والتآلف جزلا متناسبا، فإن النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة لتفقد ما وقع فيه غير مشتغلة باستئناف شيء آخر»(٨٠).

وجميع آيات الخواتيم في السور القرآنية في غاية الحسن، ونهاية الكمال، وكلها ملائمة لما سبقها من معان، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ومواعد(٨١).

والشواهد القرآنية كلها تقع على درجة واحدة من حسن الانتهاء ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الزمر: ٧٥]، والحقيقة أن ختام سورة الزمر جاء أفضل ختام يمكن أن يكون لما سبق من حديث، فقد جاء مناسبا للحديث عن المتقين الذين حمدوا الله في الآية السابقة، ثم ذكر الملائكة الذين يحفون بالعرش يوم القيامة ويحمدونه على نعمه عليهم كما تحمده المخلوقات الأخرى.

ومن الشواهد عند البلاغيين قول أبي نواس في مدح المأمون(٨٢):

فسلمت للأمر الذي ترجى له وتقاعست عن يومك الأيام

فقد اشتملت هذه الخاتمة على الدعاء المؤذن بالانتهاء(٨٣).

وقد اشتملت الأحاديث النبوية الشريفة على قدر كبير من الانتهاءات الرائعة، تبين بلاغته ﷺ في خواتيم كلامه، فالرسول ﷺ رأس الفصاحة، ومجمع البلاغة، وذروة البيان، وقد أعطي جوامع الكلم بخَوَاتِمِهِ(٨٤).

وكان الرسول ﷺ يختم كلامه بأحسن ما يكون من جمال العبارة، وإصابة الغرض، وتحريك العاطفة، وجل خواتيم أحاديثه في غاية الحسن والبراعة والجمال، إذ تشعر المتلقي بانتهاء الكلام، وأنه وصل إلى آخر ما يقصده من قول.

ومن تتبع خواتيم كلامه ﷺ في خطبه، ووصاياه، وقصصه، ومواعظه، وكتبه، وغير ذلك في كلامه، يجدها على أحسن ختام وألطفه، لما يتضمنها من انسجام تام بين آخر ما ذكره، وما سبقه من حديث، في بلاغة لا تجاريها أي بلاغة.

وكان النبي ﷺ في معظم كلامه يختم حديثه بأحسن ختام، ختاما يتناسب أتم المناسبة مع المقام الذي قيل فيه، فإذا اقتضى المقام الختام بالدعاء ختمه به، وإذا اقتضى الترغيب والحث على فعل المأمورات، أو النهي عن فعل الشيء أو التنفير عنه، ختم كلامه بذلك، أو إذا اقتضى البشارة والنصح والإرشاد أو الختام بالحكمة أو ما جرى مجرى الأمثال انتهى به، وغير ذلك من الانتهاءات المناسبة للمقامات.

ومن أحسن (خواتيم) النبي ﷺ إنهاء كلامه بالدعاء في أحسن ختام وأجمل إتمام، وذلك في خطبته في الأنصار بعد توزيع غنائم حنين. ونص الخطبة «**حَمِدَ النبي ﷺ، وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: يا معشر الأنصار: مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله؟ وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى الله ورسوله أمَنّ وأفضل. قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا وبماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المَنُّ والفضل. قال ﷺ: أما والله لو شئِتم لقلتم فلصدقتم وصدِّقتم: أتيتنا فصدَّقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فأغنيناك. أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفتُ بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله في رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكتُ شعب الأنصار، (الأنصار شعار، والناس دثار) اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار**»[٨٥].

هذه الخطبة من دلائل النبوة ومن روائع البيان النبوي، فقد لامس الخطاب النبوي هنا مشاعر القلوب وهز أوتارها بقوة ولطف ومودة ومحبة، إذ جاء الخطاب بالألفاظ القريبة إلى نفوسهم، والمعاني المؤثرة فيهم، فقد كرر النداء (يا معشر الأنصار) ثلاث مرات، لما فيه من تأثير وإلهاب لحماس النصرة، وعاطفة الإيثار التي صارت لازمة لهذا العنوان (الأنصار).

وأول ما يقرع السمع في هذه الخطبة النداء (يا معشر الأنصار) وأخر ما يبقى في السمع منها هو الدعاء (اللهم ارحم الأنصار...) فقد ختم النبي ﷺ كلامه المعبر

الموحي بألفاظ طلبية دعائية شمولية: «**اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار**» التي بلغت الغاية في التكريم والتأثير.

وهكذا حازت هذه الخطبة مع قصرها على ميزتين عظيمتين في الأدب: الإقناع والإمتاع: فأما الإقناع فهو ظاهر في هذا التغير السريع للأنصار واعتذارهم البالغ المبلل بالدمع الغزير. وأما الإمتاع الفني فظهرت دلالته في توظيف العبارات لإظهار الجمال الفني والتأثير لاحتواء الموقف(٨٦).

وبمثل هذا (الختام) يعرف المتلقي انقضاء الكلام، فقد جاء الدعاء مؤذنا بانتهائه وكماله، وهذا غاية حسن الخاتمة وعلامة حسنها ورونقها.

ومن (خواتيم) الرسول ﷺ الحسنة ختامه بالوصية والنصح والإرشاد، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر، فإذا شهد أمرا فليتكلم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضِلَع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيرا**»(٨٧).

حرص النبي ﷺ في هذا الحديث على سلامة الأسرة من التفكك والتفرق، ولا سيما اللبنة الأساسية، والشطر الأهم فيه المرأة، فالنساء شقائق الرجال، والمرأة شريكة الرجل، وهو لا غنى له عنها في هذه الحياة، لذا أوصى الرجال أن يهتموا بأمرها، ويحسنوا معاشرتها ومعاملتها المعاملة الحسنة، دون شدة أو قسوة.

وقد جاء التعبير بقوله (ضِلَع) بفتح اللام لا بسكونها ليحمل معان عدة منها (العوج) أي أن المرأة لا تخلو من اعوجاج في أخلاقها، وميل في طباعها، وتصرفاتها، كالغيرة الشديدة والبكاء السريع وأخذ المال لها ولأولادها بالمعروف من غير أذن زوجها، وهذه وغيرها قد يراها الزوج عوجا وعيبا فيها. لذا فان (الضِلَع) هنا من المرأة يعني: أنها تتحرك وتتصرف بما يعود بالخير والسعادة على أسرتها وبما فُطرت عليه من عاطفة وحنان وضم، كالأضلاع- القفص الصدري- في الاعوجاج والانحناء لكنه يضم القلب والرئتين من أي خطر أو ضرر، فهذا مدح لها وبيان لوظيفتها في المجتمع(٨٨).

فإذا رأيت أو سمعت منها ما لا يرضيك، فلا تتعامل معها بالقوة والشدة، بل تعامل معها بكل رفق ولين، لان من أراد كمالها أو تقويم عوجها بالقوة وعنف لم يستطع

ذلك الا بطلاقها، فالواجب الصبر والتغاضي عن عوج أخلاقها، والاستمرار بالنصح والتوجيه والعطف والحنان.

قال النووي: «وفيه ملاطفة النساء والإحسان إليهن، والصبر على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن، وكراهة طلاقهن بلا سبب وأنه لا يطمع في استقامتهن»(٨٩).

قال العيني: في قوله (استوصوا) أي: تواصوا أيها الرجال في حق النساء بالخير، ونقل قول البيضاوي في (استوصوا) بان الاستئصاء هو قبول الوصية، والمعنى أوصيكم بهن خيرا فاقبلوا وصيتي فيهن فإنهن خلقن من ضلع واستعير الضلع للعوج أي خلقهن خلقا فيه اعوجاج فكأنهن خلقن من أصل معوج فلا يتهيأ الانتفاع إلا بمداراتهن والصبر عليهن، قال الطيبي: الأظهر: أن السين للطلب مبالغة، أي أطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن بخير(٩٠).

وتأمل كيف ختم النبي ﷺ كلامه بقوله «**استوصوا بالنساء خيرا**» فكان مناسبا أتم المناسبة لما سبق من حديث، إذ تكرار الوصية وإعادتها في ختام الكلام مبالغة في تأكيدها ومراعاتها.

ومن الشواهد على حسن الختام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء**»(٩١).

هذا الحديث الشريف يصور حالة الإسلام في أوله، وكيف سيكون في أخر الزمان، إذ بدأ في آحاد من الناس، وقلة ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والضعف حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ(٩٢).

وتأمل في دقة التعبير في قوله (غريبا) أي لقلة أهله وأصل الغريب البعيد عن الوطن، وقوله (وسيعود غريبا) أي بقلة من يقوم به ويعين عليه، وإن كان أهله كثيرا، وهنا تنبيه على أن نصرة الإسلام والقيام بأمره قد تحتاج إلى التغريب عن الأوطان والصبر على مشاق الغربة كما كان في أول الأمر(٩٣).

قال الطيبي: «لا يخلو إما أن يستعار الإسلام للمسلمين، فالغربة هي القرينة، فيرجع معنى الوحدة والوحشة إلى نفس المسلمين، وإما أن يجري الإسلام على الحقيقة، فالكلام على التشبيه، والوحدة والوحشة باعتبار ضعف الإسلام وقلته، فعلى هذا (غريبا)

إما حال، أي: بدأ الإسلام مشابها للغرباء، أو مفعولا مطلقا، أي إن الإسلام ظهر ظهور الغرباء حين بدأ فريدا وحيدا...، ثم أتم الله نوره، فأنبث في الآفاق فبلغ مشارق الأرض ومغاربها، ويعود في آخر الأمر وحيدا فريدا شريدا إلى طيبة كما بدا»[٩٤].

ونظرا لحالة الإسلام والمسلمين في آخر الزمان التي تدعو إلى اليأس، كان لابد من البشارة بالعاقبة الطيبة لأولئك الغرباء المتمسكين بدينهم، ولذ ختم النبي ﷺ كلامه بهذا الختام المناسب (فطوبى للغرباء) إذ في هذا الختام انسجام تام بين آخر ما ذكره وما سبقه من حديث.

قال النووي: اختلف المفسرون في معنى (طوبى) فقيل فرح وقرة عين، وقيل غبطة لهم، وقيل أصابوا خيرا، وقيل الجنة، وقيل شجرة في الجنة، وكل هذه المعاني محتملة في الحديث[٩٥].

الخاتمة

بعد هذه الدراسة للفنون البديعية الثلاثة (حسن الابتداء، وحسن التخلص، وحسن الختام) والوقوف على الجماليات الكامنة وراءها، في الحديث النبوي الشريف، نحاول تسجيل أهم النتائج التي توصلنا إليها:

- حرصت الدراسة الوقوف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمواضع الثلاثة- الابتداء التخلص الختام- التي عدها البلاغيون من أهم ما ينبغي على المتكلم أن يتأنق بها ويبدع في صياغتها، وبيان صلة التقارب بينهما. كما وقف البحث على تعدد المسميات البلاغية للمصطلح الواحد، وكلها تؤدي المعنى نفسه.
- أشار البحث إلى تنوع أساليب الابتداء في الحديث النبوي وذلك تبعا لتنوع المقامات والموضوعات كأساليب التشويق- ومنها الدعاء والعدد والتشبيه- والقصر والتوكيد والخبر والإنشاء- ومنها النداء والاستفهام والقسم- وجاءت كلها في سياق بليغ من حيث النظم وفي غاية التلاؤم والتناسب، والهدف منها أن يبقى أثرها عالقا بالنفوس.
- جاء التخلص في الحديث النبوي في غاية الحسن، ومنتهى الجمال، حيث يتم الانتقال من معنى إلى معنى، بألطف عبارة وأحسن أسلوب، من غير أن يشعر المتلقي به وذلك لشدة ما بينهما من تلاؤم وانسجام.

- أشار البحث إلى تنوع الختام بحسب المقامات فجل خواتيم الحديث النبوي جاءت حسنة مشعرة بانتهاء الكلام أما عن طريق الدعاء أو النصح والإرشاد أو الوصية بفعل المأمورات وترك المنهيات وغير ذلك من الإنتهاءات المناسبة للمقام.

وأخيرا نقول إذا كان الأدب الراقي هو الألفاظ الجميلة والمعاني الدالة عليها أحسن دلالة، فان البيان النبوي هو الأدب الراقي الرفيع الذي بلغ القمة السامقة بين البيان البشري، فهو الحكمة البالغة والبلاغة العالية، التي ينبغي أن تتوجه إليه عناية الباحثين بالتحليل اللغوي والبلاغي والأدبي الذي يليق به، ويبرز خصائصه المتنوعة، وجمالياته الرائعة.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) المعجم الكبير، الطبراني ٢٥٥/٢٥، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٦١.

(٢) ينظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري ٢١٢/٣، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٦١.

(*) ينظر: الفائق في غريب الحديث ١٢٦/١، وهذا الحديث من الشواهد المشهورة في كتب البلاغة والأدب، غير أن السيوطي قال عنه لا يعلم من أخرجه ولا إسناده. ينظر: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، علي القاري ٦٠، كشف الخفاء العجلوني ٢٣٢/١. وأقول إن معناه صحيح، فليس هناك شخص أفصح منه على الإطلاق ﷺ.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني ٤٨.

(٤) ينظر: لسان العرب مادة (بدأ) ٣١/٢.

(٥) كتاب الصناعتين، العسكري ٤٣٥.

(٦) ينظر: الإيضاح، القزويني ٤٨٢.

(٧) ينظر: كتاب الصناعتين ٤٣١، قانون البلاغة، البغدادي ١١٧، العمدة ٢١٧/١، البديع في البديع ابن منقذ ٤٠٠، بديع القرآن ابن أبي الإصبع ٦٤، منهاج البلغاء القرطاجني

٣٠٩، ترجمان البلاغة الرادوياني ٨٣، التبيان في البيان الطيبي ٣٧٨، شرح الكافية البديعية، الحلي ٥٧.

(٨) ينظر: دراسات منهجية في علم البديع، د.الشحات محمد أبو الستيت ١١٤.

(٩) ينظر: الإيضاح ٤٨٥، وذكر البلاغيون: أن براعة الاستهلال من ضروب الصنعة التي يقدومها أمراء الكلام ونقاد الشعر وجهابذة الألفاظ، فينبغي للشاعر والخطيب والكاتب أن يكون ابتداء كلامه دالا على انتهائه وأوله ملخصا بآخره وينبغي له ألا يبتدئ المدح بشيء من التشبيب يتطير منه، ويستجفى من كلامه وينبو عنه السمع وينبذه الطبع. ينظر: قانون البلاغة ١١٧.

(١٠) البيان والتبيين ١١٢/١.

(١١) كتاب البديع ابن المعتز، ٧٥، ديوان النابغة الذبياني ١٧.

(١٢) العمدة ٢١٧/١.

(١٣) شرح الكافية البديعية ٥٧- ٥٩.

(١٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية د.أحمد مطلوب ٢١/١، معجم البلاغة العربية د.بدوي طبانة ١٦٣، البديع في ضوء أساليب القرآن د.عبد الفتاح لاشين ١٧٤، البديع من المعاني والألفاظ د.عبد العظيم المطعني ٩٢، دراسات منهجية في علم البديع ١١٤، علم البديع د.بسيوني عبد الفتاح فيود ٢١٤.

(١٥) ينظر: المثل السائر ابن الأثير ٢٠٩/٢.

(١٦) كتاب الصناعتين ٤٣١.

(١٧) ديوان النابغة الذبياني ١٧.

(١٨) ديوان امرئ القيس ١٩.

(١٩) ينظر: العمدة ٢١٨/١، المطول التفتازاني ٧٣٤، خزانة الأدب ١٩/١، بغية الإيضاح ٧٠٥.

(٢٠) ديوان أوس بن حجر ٤٨.

(٢١) ينظر: حلية المحاضرة ٢٠٦/١، نقلا عن دراسات منهجية في علم البديع ١١٦.

(٢٢) ديوان ذي الرمة ١٠.

(٢٣) ينظر: دراسات منهجية في علم البديع ١١٧.

(٢٤) ديوان المتنبي ٤١٨.

[٢٥] ينظر: دراسات منهجية في علم البديع ١١٨.

[٢٦] الطراز، العلوي ٢ /٢٦٧.

[٢٧] أخرجه البخاري في باب كيف كان بدء الوحي ٣/١، ومسلم في كتاب الجهاد، بلفظ إنما الأعمال بالنية ٨٥٣.

[٢٨] ينظر: من الأدب النبوي د.كامل سلامة الدقس ١١- ١٣.

[٢٩] أخرجه البخاري في باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ٢٣٤/١، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة ٤١٥.

[٣٠] ينظر: شرح الكرماني على صحيح البخاري ٣٥٩/٣.

[٣١] ينظر: أضواء من البلاغة النبوية ١١٨-١١٩.

[٣٢] ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٦٢/٣.

[٣٣] أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ٥٨٦.

[٣٤] ينظر: بغية الإيضاح ٥٨/٢.

[٣٥] ينظر: دلالات التركيب د محمد أبو موسى ٢٨٠.

[٣٦] ينظر: كتاب سيبويه ٢٢٤/٤، قال (وأما يا فتنبيه) ألا تراها في النداء وفي الأمر كأنك تنبه المأمور، والمقرب ١٧٥/١، ومغني اللبيب ٤١٣/١.

[٣٧] المفضل في شرح المفصل (باب الحروف) السخاوي ٢٥٨.

[٣٨] ينظر: مغني اللبيب ٤١٣/١.

[٣٩] ينظر: بلاغة الرسول ٣٣٣.

[٤٠] أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة ١١٣٢.

[٤١] ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي ٤١٢.

[٤٢] ينظر: بلاغة الرسول ٢٣٦.

[٤٣] ينظر: لسان العرب مادة (خلص) ١٢٥/٥.

[٤٤] ينظر: المصباح المنير، الفيومي، مادة (خلص) ١٧٧.

[٤٥] ينظر: التبيان في البيان ٣٨٢.

[٤٦] هذا لا يعني أن المتقدمين عاجزون عن مراعاة التناسب في الانتقال أو حسن التخلص، فهم أهل هذا الشأن والسابقون بالمعاني الحسان، وعدم اهتمامهم به لأنهم

كانوا يؤثرون عدم التكلف والتعسف في استخدام فنون البديع، ومن الأمثلة على حسن التخلص عندهم قول زهير:

إن البخيل ملوم حيث كان ولـــــ كـــن الجـــواد علـــى علاتـــه هـــرم

فانظر كيف أحسن زهير التخلص في بيت واحد من غير اعتناء. ينظر: خزانة الأدب ٣٣٠/١.

(٤٧) ينظر: البديع ابن المعتز ٦٠، خزانة الأدب ٣٣٠/١، العمدة ٢٣٤/١، بديع القرآن ابن أبي الإصبع ١٦٧، التبيان في البيان ٣٨٢، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢٢٩.

(٤٨) ينظر: العمدة ٢٣٤/١.

(٤٩) البديع في البديع ٤٠٣.

(٥٠) ينظر: خزانة الأدب ٣٣٠/١.

(٥١) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني ٣٢٢.

(٥٢) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي ٤٧٢.

(٥٣) ديوان المتنبي ٩٧.

(٥٤) ينظر: خزانة الأدب ٣٣٠/١.

(٥٥) ينظر: المثل السائر ٢٢٨/٢.

(٥٦) ديوان زهير ٦٧.

(٥٧) ديوان امرئ القيس ٧٢، وينظر: كتاب الصناعتين٤٥٢، العمدة ٢٣٩.

(٥٨) ينظر: المثل السائر ٢٤١/٢، البلاغة العربية، عبدالرحمن حبنكة الميداني ٥٦١، وقد ورد هذا الأسلوب كثيرا في الحديث النبوي الشريف، إذ كان النبي ﷺ يقوله في أثناء خطبه ومواعظه بعد الحمد لله والثناء عليه. وللمزيد من هذا الأسلوب ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢٨٥/٦، ٣٩٣، ٤٤٩، ١٠٦/٧، ١٨٨/١١، ١٧٤/١٥، ١١٠/١٧، ١١٥.

(٥٩) ينظر: بغية الإيضاح ٧١١- ٧١٢، دراسات منهجية في علم البديع ١٢١-١٢٣.

(٦٠) ينظر: معجم البلاغة العربية ١٧٠.

(٦١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة ١١٤٨.

(٦٢) ينظر: البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق ٧٨ وما بعدها.

(٦٣) أخرجه مسلم في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف ٣٦١.
(٦٤) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ٤٤١/٦.
(٦٥) ينظر: بلاغة الرسول ٣٣٧.
(٦٦) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ١٠٥٧/٣.
(٦٧) شرح الطيبي ٣٢٧٤/١٠.
(٦٨) ينظر فتح الباري ١٠٢/٦.
(٦٩) ينظر لسان العرب مادة (ختم) ١٩/٥.
(٧٠) ينظر: خزانة الأدب ٤٩٣/٢.
(٧١) ينظر: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ٥٦٤.
(٧٢) ينظر: الإيضاح ٤٨٨، العمدة ٢١٧/١، كتاب الصناعتين ٤٣٨، الطراز ١٨٨/٣، ترجمان البلاغة ٨٥، البديع في البديع ٤٠٢، المطوّل في شرح تلخيص المفتاح ٧٣٩.
(٧٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١٩٣.
(٧٤) البيان والتبيين ١١٢/١.
(٧٥) ينظر: كتاب الصناعتين ٤٤٣.
(٧٦) العمدة ٢١٧/١.
(٧٧) العمدة ٢١٧/١.
(٧٨) تحرير التحبير ٦١٦.
(٧٩) ينظر: الطراز ١٨٣/٣ وما بعدها.
(٨٠) منهاج البلغاء ٣٠٦.
(٨١) ينظر: تحرير التحبير ٦٢٠.
(٨٢) ديوان أبي نواس ٦٢.
(٨٣) ينظر: بغية الإيضاح ٧١٣/٤.
(٨٤) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب كل مسكر خمر ٨٩٥، وفي رواية (أوتيت جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه). ينظر: مصنف ابن أبي شيبة، ٤٦٨/١٦.
(٨٥) أخرجه البخاري في المغازي (غزوة الطائف) ١٥٧٤/٤، ومسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ٤٢٦، وأحمد في المسند رقم ١١٦٧٠ واللفظ المذكور لمسند أحمد ٢٤٠/١٠.

(٨٦) ينظر: في ظلال الحديث النبوي ٣٣٣- ٣٣٦.

(٨٧) أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء ٦٢٦.

(٨٨) ينظر: الجديد في فقه لغة القرآن المجيد ١٤، ومن معاني (الضِلَع) الحركة وبذل الجهد، والمبالغة في الشيء، وقوة الصبر والتحمل، والثقل على الغير.

(٨٩) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٩٩/١٠.

(٩٠) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، باب الوصية بالنساء ٤٣٢/١٢.

(٩١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا ٧٥.

(٩٢) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٤٥٦/١.

(٩٣) ينظر: سنن ابن ماجة بشرح السندي ٣٤٩/٤.

(٩٤) شرح الطيبي ٦٢٦/٢.

(٩٥) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٣٥٢/٢.

المصادر

١. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، د.عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، عمان- الأردن، ط الأولى ٢٠٠٢.

٢. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن على الجرجاني، تحقيق: د.عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة (د ت).

٣. أضواء على البلاغة النبوية، د.إبراهيم طه الجعلي، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض ط الأولى ٢٠٠٤ .

٤. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض تحقيق: د.يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط الثالثة ٢٠٠٥.

٥. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: د.عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط الأولى ١٩٩٦.

٦. البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٩٨٧.

٧. البديع في ضوء أساليب القرآن، د.عبد الفتاح لأشين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط الثالثة ١٩٨٦.

٨. بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر، (د.ت).
٩. البديع من المعاني والألفاظ، د.عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٢.
١٠. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط السابعة عشرة ٢٠٠٥.
١١. بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع دراسة في الصحيحين، د.ناصر راضي الزهري إبراهيم، دار البصائر، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٨.
١٢. البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، د.غالب محمد محمود الشاويش، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط الأولى ٢٠٠٩.
١٣. بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، د.عودة خليل أبو عودة، دار البشير، عمان– الأردن، ط الثانية ١٩٩٤.
١٤. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط الرابعة (د ت).
١٥. التبيان في البيان، شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، تحقيق: توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله، جامعة الكويت، ١٩٨٦.
١٦. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي (د.ت).
١٧. ترجمان البلاغة، محمد بن عمر الرادوياني، ترجمة وتعليق محمد نور الدين عبد المنعم، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٧.
١٨. الجديد في فقه لغة القرآن المجيد، هشام عبد الرزاق الحمصي، دار الكلم الطيب، دمشق، ط الأولى ٢٠٠٦.
١٩. خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، شرح عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧.
٢٠. دراسات منهجية في علم البديع، د الشحات محمد أبو الستيت، ط الأولى ١٩٩٤.
٢١. دلالات التراكيب، د.محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، ط الأولى ١٩٧٩.

٢٢.ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي شرح د.صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط الأولى (د. ت).
٢٣.ديوان أوس بن حجر، شرح د عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان، (د. ت).
٢٤.ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه أحمد حسن يسج، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط الأولى ١٩٩٥.
٢٥.ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتحقيق: حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت، ط الأولى ١٩٩٤.
٢٦.ديوان المتنبي، أبي الطيب، تحقيق: د.عبد المنعم خفاجي وزميلاه، مكتبة مصر.
٢٧.ديوان النابغة الذبياني، شرح د.عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت- لبنان (د. ت).
٢٨.ديوان أبي نواس، تحقيق اسكندر آصاف، دار العرب (د. ت).
٢٩.سنن ابن ماجة بشرح السندي، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط الثالثة ٢٠٠٠.
٣٠.شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، شرف الدين الحسين بن عبد الله محمد الطيبي، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض، ط الأولى ١٩٩٧.
٣١.شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي، تحقيق د.نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٢.
٣٢.شرح الكرماني على صحيح البخاري، الكرماني، اعتنى به محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولى ٢٠١٠.
٣٣.الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، تقديم وتحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الصفا، ط الأولى ٢٠٠٢.
٣٤.صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ضبط وترقيم د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ودار اليمامة دمشق، ط الخامسة ١٩٩٣.
٣٥.صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، مرقم على ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام، الرياض، ودار الفيحاء، دمشق، ط الأولى ١٩٩٠ .

٣٦.صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، المسمى المنهاج شح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط السابعة عشر ٢٠٠٩.
٣٧.الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.
٣٨.علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، د.بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، ط الثانية ٢٠٠٤.
٣٩.العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط الرابعة ١٩٧٢.
٤٠.عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، قدم له وخرج أحاديثه عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ٢٠١٠.
٤١.الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط الأولى ١٩٩٦.
٤٢.فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، دار السلام، الرياض، ودار الفيحاء، دمشق، ط الثالثة ٢٠٠٠.
٤٣.في ظلال الحديث النبوي، د.نور الدين عتر، ط الثانية ٢٠٠٠.
٤٤.قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، أبو طاهر البغدادي، تحقيق: محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية (د.ت).
٤٥.كتاب البديع، عبد الله بن المعتز، اعتنى بنشره إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط الثالثة ١٩٨٢.
٤٦.كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.
٤٧.كتاب الصناعتين،الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى ١٩٥٢.
٤٨.كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، العجلوني، تعليق: أحمد القلاس، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ٢٠٠٠.
٤٩.لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط الرابعة ٢٠٠٥.

٥٠.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير الجزري، تحقيق: الشيخ كامل محمد عويضه، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط الأولى ١٩٩٨.
٥١.المسند، أحمد بن حنبل، شرح حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٩٩٥.
٥٢.المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار الفكر، بيروت (د.ت).
٥٣.المصنف ابن أبي شيبة، تحقيق وترقيم محمد عوامة، شركة دار القبلة، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط الأولى ٢٠٠٦.
٥٤.المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، علي القاري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط الخامسة ١٩٩٤.
٥٥.معجم البلاغة العربية، د.بدوي طبانة، دار المنار، جدة، ودار ابن حزم، بيروت، ط الرابعة ١٩٩٧.
٥٦.المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط الثانية.
٥٧.معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط الثانية ٢٠٠٧.
٥٨.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك وزميلاه، دار الفكر بدمشق، ط الأولى ١٩٦٤.
٥٩.المفضل في شرح المفصل (باب الحروف)، علم الدين علي بن محمد السخاوي، تحقيق د.يوسف الحشكي، عمان– الأردن، (د.ت).
٦٠.المقرب، ابن عصفور، تحقيق: أحمد الجواري وعبد الله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف بالجمهورية العراقية، ط الأولى ١٩٧١.
٦١.من الأدب النبوي، د.كامل سلامة الدقس، دار الشروق، جدة، ط الثانية.
٦٢.المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، تحقيق: علال الفاسي، مكتبة المعارف، الرباط المغرب، ط الأولى ١٩٨٠.
٦٣.منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخواجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الرابعة ٢٠٠٧.
٦٤.الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).